

المدينة الفاضلة

شرح أحوال المدن والمجتمعات الإسلامية

د. علي مقبل

تمهيد

ظهرت المدن في حضارات مختلفة كحضارات الأزتك والمايا والآنكا والهند، والمهدين التوأمن للحضارة الأوروبية الغربية بابل ومصر حيث كانت المدن مراكز التطور والتنمية. اذن فظهور المدن ليس مقصوراً على حضارة دون أخرى ولا على قارة دون قارة لا قديماً ولا حديثاً. وتاريخ أوروبا القديمة هو تاريخ المدن اليونانية ومدينة روما. ومنذ انهيار روما اضمحلت وظائف المدن كمراكز للسياسة وللعلوم والفنون وانتقلت الى الأديرة.

وشهد القرن الحادي عشر نهضة مدن قوية بإيطاليا هي المدن المتاجرة. ومنذ القرن الثالث عشر تركزت حياة العصور الوسطى النشطة في المدن. واما المدينة الحديثة الضخمة فهي نتاج الثورة الصناعية. وقد أوجدت الضخامة مشكلات حادة، في المدن الحديثة مثل مشكلات الصحة والتوزيع والمواصلات.. وتلوث البيئة. فقام بنداى بإصلاح الحياة الحضرية عن طريق إلغاء المدن

كما إوجدت الغارات الجوية في الحرب العالمية مشكلة كيفية الدفاع عن المدينة⁽¹⁾. وظلت المدينة منذ ما قبل الحضارة المصرية ملفوفة بطابع القداسة⁽²⁾ وما تزال. والاختلاف الوحيد هو كيفية صيانتها: بالقداسة قديماً، وبشبكات الرادار والصواريخ حديثاً. وقد خصصت مجلة «الفكر العربي» المجلد 39، 1982/30 لبحث مسألة

المدينة والمدينة العربية . وهي مشكورة على هذا الجهد .

وفي المقالة التي نقدم نعالج موضوع « المدينة - الدولة » وكيف تحكم كما تمناه فيلسوف كبير ومهندس كبير هو نصير الدين الطوسي⁽³⁾ (ت 376 / هـ 1274 م) . ويعتبر النصير الطوسي تنويعاً لفكر الاسلام المتأغرق المتمثل بالفيلسوفين الموسوعيين الفارابي وابن سينا وبنصير الدين الطوسي .

وفي الحكمة العملية يقول ابن سينا :

« لما كان تدبير الانسان ... يقتضي ان يعرف كيف ينبغي ان تكون اخلاقه وافعاله .. وكيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله ... ثم ينبغي على الانسان ان يعرف اصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والردية »⁽⁴⁾ .

وهكذا يأخذ نصير الدين الطوسي ما عند ابن سينا فيتممه ويعرضه في كتابه « الاخلاق الناصرية أو أخلاق ناصري »⁽⁵⁾ ويركز الطوسي على سياسة « المدينة » فيبحث في انواع الحكومات وفي الحكام واساليب الحكم بشكل يجعل القارىء يذهل كيف ان الحكم في الدول الاسلامية ظلّ اوتوقراطياً لم يتغير ولم يتبدل طيلة الف وأربعماية سنة ، رغم الافكار الجيدة التي فصلّها امثال الفارابي وابن سينا والنصير الطوسي وابن خلدون وغيرهم . في حين قامت المدن الايطالية ، التي هي نواة المدن ثم الحكومات القومية الحديثة ، بتأثير من الفكر الاسلامي الذي نقل اليها عن طريق صقلية ، وعن طريق الحروب الصليبية ، خلاصة النهج السياسي اليوناني . بعد ان مزجته مدارس الاسكندرية وانطاكية والرها وغيرها من المدن الشرقية بمحضارة الشرق وأساليب الحكم فيه .

١ يقارن الطوسي بين المدينة الفاضلة والمدينة غير الفاضلة . ويفصل انواعها وتفرعاتها وكيف تفسد او تتحول . ويبحث في احوال الناس الذين تتألف منهم المدينة . وكيف ان محاولة بلوغ الكمال واجبة وليست مستحيلة ثم يعرض لوسائل الهداية وكيف ان طريق العقل ، والممارسة العملية يقتضيان السعي الى بناء المجتمع الافضل .

ثم ينتقل الى السلطة العليا او الرياسة العظمى ، وما يجب ان تتوفر بصاحب هذه السلطة من صفات . وبعد ذلك يتفرغ لانواع المدن غير الفاضلة فيعدددها ويشرح اسباب نذاتها او فسقها ثم يعرض لدولة الغلبة او التغلب وكيف تتسلط على الاخريات وهذا ما نحسه بالدول المسماة « العظمى » في ايامنا وكيف تتسلط على الدويلات الاخرى .

ويظل بالطبع السؤال الدائم مطروحاً : لماذا لم يتأثر اهل الحكم في الشرق ، وفي دول العالم الثالث عموماً

بأساليب الحكم المتقنة التي وضعها المنظرون من الحكماء والفلاسفة القدامى. في حين اخذ اهل الحكم في اوربا الغربية والشرقية بأفكار الاقدمين فطوروها وطبقوها: هل السبب كما يقول البعض قائم على ان النهج الفكري الشرقي قائم على التقريب «Le monde de L'à - Peu - Près» في حين ان الفكر الغربي هو فكر قائم على الدقة والوضوح «Le monde de la précision» ؟

تصعب الاجابة القاطعة بل يصعب الحكم بأن اسلوب الحكم الغربي الاوروي هو الاسلوب الامثل والنهائي والاخير رغم ما نراه من مظاهر سيادته وسطوته.

أقسام المجتمعات وشرح أحوال المدن (*)

عموميات:

لكل مركّب حكم خاصة وهيئة بها يتميز وينفرد ، دون أجزائه التي لا تشاركه في ذلك . وأيّ اجتماع أفراد من الناس منظمّ، بفعل التآلف والتركب، يكون له أيضاً نظام وهيئة وخاصة كالتي نجدها في المركّبات .
ولما كانت أفعال الإنسان الإدارية تنقسم إلى قسمين: خيّرة وشريرة، كذلك المجتمعات تنقسم إلى قسمين: الأول: ويقوم على سبب الخير، والثاني: ويقوم على سبب من قبيل الشر . ويسمى المجتمع الاول: المدينة الفاضلة، والثاني، المدينة غير الفاضلة .

1 - المدينة الفاضلة: المدينة الفاضلة لها غط واحد فقط، لأن الحق بعيد عن التعدد، إذ هناك طريق واحد إلى الخير .

المدينة غير الفاضلة: أما المدينة غير الفاضلة فلها ثلاثة انواع:

1 - النوع الأول: وأجزاؤه - الأفراد مثلاً - يكون عارياً من استعمال القوة العقلانية . وما يشد الافراد إلى الحياة الاجتماعية فيه هو تمسكهم بإحدى القوتين الآخرين (الشهوانية والعدوانية)، ومدينة هذا النوع تسمى المدينة الجاهلة⁽¹⁾ .

2 - النوع الثاني: وأجزاؤه لا تخلو من استعمال القوة العاقلة، إلا ان القوتين الآخرين تعلوان على الاولى . والأفراد، في هذا النوع من المدن، متفعلون بالحياة المدنية، وتسمى المدينة من هذا النوع، بالمدينة الفاسقة⁽²⁾ .

3 - النوع الثالث: وفيه بليت القوة التفكيرية بالنقصان. فاخترع أفراده قانوناً من خيالهم، وسموه فضيلة، وعليه بنوا حياتهم المدنية. وهذه هي المدينة الضالة⁽³⁾.

ولكل مدينة من هذه المدن فروع وشُعَب، ولهذا فلا حدود لضلالها وشرورها. وأكثر من ذلك وحتى في وسط المدينة الفاضلة بالذات، قد تقوم مدينة غير فاضلة، ولأسباب سنيّنها فيما بعد، وهذه تسمى « بالنوابت »⁽⁴⁾. وغاية أمثال هذه المدن التعريف بالمدينة الفاضلة بغية دعوة الأخريات إلى الاقتداء بها.

المدينة الفاضلة: هي اجتماع قوم لهم تطلعات ثابتة إلى اكتساب الخير وطرده الشر. وبالتأكيد هناك مشاركة ومساهمة فيما بين الأفراد في مجالين: الآراء والأفعال، واتفاقهم في الرأي يعني أن قناعاتهم، فيما يتعلق بنشأة الانسان ومنتهاه، وما بينها من أحوال، تتفق مع الحق، وهم جميعاً متفقون فيما بينهم.

محاولة بلوغ الكمال واجبة وليست مستحيلة:

ولما كانت قدرة كل شخص تساعد وتمكنه من بلوغ إحدى هذه المراتب. فإن ذلك لا يعني عجزه عن محاولة بلوغ الكمال أو السعي نحو عالم المعرفة، نحو قبة الله ذي الجلال. وصاحب الناموس المكلف بالسير بالجماعة نحو الكمال قادر على أن يوصل كل فرد إلى كماله (بقدر استطاعته) عملاً بالقاعدة: « علّموا الناس على قدر عقولهم ». ولكن من غير الممكن زيادة طاقة الانسان فوق ما فطر عليه⁽¹²⁾ أو فوق ما كسبه بالاعتقاد، رغم أن آيات المشترع تكون أحياناً محكمة وأحياناً متشابهة⁽¹³⁾. وفي موضوع التوحيد، الكمال هو التنزيه الصرف عن التشبيه المحض⁽¹⁴⁾ وفيما خص المعاد لكل طائفة حقها في معتقدها وعليها وزرها.

وسائل الهداية:

والحكيم يستعمل أحياناً القياس البرهاني، وأحياناً يكتفي بالبراهين الإقناعية، وأحياناً يستعمل الأساليب الشعرية والتخيّلات. بحيث يهدي إلى الصواب كل شخص بقدر بصيرته. وقناعة كل جماعة، في طريقها إلى الكمال، تختلف من حيث الصورة والوضع. ولكنهم ما داموا يتبعون الفاضل الأول مدبّر مدينة الفضلاء⁽¹⁵⁾، ويلتزمون بالاقتداء به، فلا خوف عليهم من التعصب والتعاند فيما بينهم، وإن بدوا متخالفين من حيث المذهب والملة⁽¹⁶⁾.

الغاية واحدة وإن اختلفت الوسائل :

لا شك أن اختلاف الملل والمذاهب، الذي قام بين الناس من جراء اختلاف الرسوم والخيالات والأمثلة (وكلهم يبحثون عن نفس الغاية) يشبه الفوارق بين الأطعمة والألبسة، التي تختلف بالنوع واللون وتتفق في الغاية^(١٧).

3 - رئيس المدينة : إن رئيس المدينة قدوة كل الناس . وهو بحق الملك الأعظم ورئيس الرؤساء ، يعين لكل طائفة مكانها ، وينظم السلطة والخدمات . وتكون كل فئة مرووسة لغيرها ورئيسة لمن هم دونها . وهكذا حتى الوصول الى فئة ليست مؤهلة للرئاسة تلك هي فئة « الخدم باطلاق » .

شعب المدينة : ويكون شعب المدينة بمثابة الموجودات من حيث الترتاب : كل واحد في منزلته من العلة الأولى إلى المعلول الأخير . تلك هي السنة الإلهية ، التي هي الحكمة المطلقة . وإن انحرف شعب المدينة عن اتباع مديرتها ، فالقوة الغضبية فيهم تحاول أن تسيطر على القوة العقلية ، بحيث يقوم بينهم التعصب والعناد ومخالفة المذهب . وإن لم يجدوا الرئيس ، راح كل منهم يدعي الرئاسة لنفسه . وتتجسد كل صورة من الصور الموهومة والمتخيلة (عند فئة من شعب المدينة) وتصبح صنماً ، مستجلبة جمعاً إلى اتباعها ، وتكون النتيجة ظهور التنازع والتخالف^(١٨) وظهور المذاهب .

المذاهب : وبلاستقراء يتبين أن أغلب هذه المذاهب يتبعها أهل الضلال ، وهي تتفرع عن مذاهب أهل الحق . لأن الباطل بذاته ليس له أساس ولا أصل .

وأهل المدينة الفاضلة ، وإن تفرعوا في أقاصي العالم متفقون بالحقيقة . لأن قلوبهم متوجهة نحو بعضها البعض . وهم يحبون بعضهم البعض . وهم في تآلفهم وتواددهم كالفرد الواحد كما قال صاحب الشريعة : « المسلمون يد واحدة ، على من سواهم . والمؤمنون كنفس واحدة »^(١٩) .

وملوكتهم الذين هم مدبرو العالم ، يرعون أوضاع النواميس والمصالح المعاشية والتصرف اليومي بما يناسب الوقت والحال . وهذا هو سبب تعلق الدين بالملك ، كما عبّر عن ذلك ملك وحكيم الفرس أردشير بابك : « الدين والملك توأمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

الدين هو الأساس ، والملك هو الدعامة . فالأساس بدون ركن ضائع والركن بلا أساس خراب . ومثله دين

بلا ملك بدون فائدة، وملك بلا دين ملك واه⁽²⁰⁾.

واتفاقهم في الأفعال يعني أنهم جميعاً على رأي واحد بخصوص الوصول إلى الكمال. وتكون الأفعال التي تصدر عنهم مفرغة بقالب الحكمة ومقومة بهذيب وتشدد عقلي (ومقدور بقوانين عدالت وشرايط سياست)⁽³⁾ ورغم اختلاف الأفراد، واختلاف الأحوال، فغاية أفعال أهل هذه الجماعة تكون واحدة، وطرقهم وسيرهم متوافقة مع بعضها البعض.

يجب أن يعلم أن قوة التمييز والنطق لم تخلق متساوية عند الأفراد جميعاً، بل هي تتدرج وفقاً لمراتب، منذ الغاية التي ليس أسمى منها شيء، حتى درجة البهائم. هذا التنوع، كما سبق ولوحظ، يصبح سبباً من أسباب النظام.

ولما كانت قوة التمييز غير متساوية، فإن مجمل ادراك الجماعة، يصبح مختلفاً، وبالتالي لا يمكن أن يكون واحداً، وبالمقابل إن بعض الأشخاص من ذوي (العقول الكاملة والفطرة السليمة والعادات المستقيمة المخصوصين بتأييد إلهي وإرشاد رباني، متكفل بهدايتهم)⁽⁶⁾ مهياؤون لمعرفة المبدأ والمعاد لمعرفة كيفية صدور الخلق عن المبدأ الاول: وهم الذين أوتوا عقلاً كاملاً... وعددهم قليل جداً.

إدراك المبدأ والمعاد وما بينهما:

إن النفس الإنسانية لها قوى تدرك بها المحسوسات والروحانيات (كالوهم والفكر والخيال والحس) وهي مرتبة ومتدرجة من الصفاوة إلى الكدورة (كما هو مقرر في علم الفلسفة). ولا يمكن لأية من هذه القوى أن تكسل أو تعطل.. ثم إن معرفة المبدأ والمعاد هي من خصوصيات النفس النبيلة وحدها، دونما اشراك غيرها من القوى معها.

وتمشياً مع ذلك، ففي حالة انشغال الجوهر المجرد لدى الجماعة بمشاهدة المبدأ والمعاد وما يتعلق بهما من شؤون، فلا محالة أن هذه القوى (المتعلقة والتابعة للنفس) تسخر لتخيل الصور المناسبة لهذه الحال. ولكن ما هو معروف من النفس هو في غاية البعد عن المدركات الجسمانية والقوى الجسمانية التي تستطيع فقط أن تدرك أجزاء المدركات وظلالها وصورها، (من دون حقيقتها).

أما أشرف وألطف أمثلة عن الجسانيات فتتحقق عن كل ملكة بحسب درجتها ومرتبته من حيث القرب

والبعد، عن النفس. ولكن القوة العقلية خصّت، بالمعرفة الحقّة. والشيء المعروف (في مثل هذه الحالة) مقدّس وبمعزل عن أي اشكال.

2 - الحكماء وأهل الإيمان وأهل التسليم والمجسمون:

وهذه الطبقة (التي تكلمنا عنها) تضم أفاضل الحكماء. وتليهم في المرتبة مجموعة الذين لا يستطيعون سبيلاً إلى المعرفة العقلية الخالصة، والذين غاية ادراكهم هو التصور والتقدير، كما هو الحال بطائفة الحكماء العاديين، رغم أن هؤلاء يرون من الواجب التنزه عن ذلك.

ولما كانت هذه الطبقة محرومة من المعرفة الحقيقية، فإنهم مأذونون بأن يطبقوا أحكام فئة أفاضل الحكماء على المبدأ والمعاد. ولكنهم يحسون انهم مجبورون على تنزيهاها عن الأحكام الصورية المتمثلة في خيالهم، والتي هي في مرتبة أدنى من الصور الحقيقية لكونها أقرب إلى الجسمانيات⁽⁷⁾. ثم انهم يتصورونها وهماً ملازماً يجب رفضه وإنكار ارتباطه بالصورة الحقّة، في حين يعترفون ويقرون أن معرفة الطبقة السابقة هي أكثر كمالاً من معرفتهم. هؤلاء هم طائفة أهل الإيمان⁽⁸⁾.

وفئة أدنى مرتبة من طبقة أهل الإيمان، غير قادرة حتى على التصورات الوهمية، قانعة بالصور الخيالية، يتصورون المبدأ والمعاد جسمانياً، وهم يدعون إلى المعرفة التي تقول بها الطائفتان الأوليان. هؤلاء هم طبقة أهل التسليم⁽⁹⁾.

وقصيرو النظر، دونهم في المرتبة، يقفون بأنفسهم بعيداً (في مجال الجسمانيات) متمسكين ببعض الأحكام الجسمانية. أولئك هم الضعفاء (المجسمّة). وإن أمعن المرء النظر في مراتب المجسمين لعثر على صور تتدرج في بشاعتها وسوءها⁽¹⁰⁾.

وبالجملة إن هذه الإختلافات ناتجة عن اختلاف الإستعدادات. ويمكن تشبيه الطبقات المذكورة على التوالي: بشخص يعي الطبيعة الحقّة للأشياء، في حين يعي شخص آخر شكلها، وثالث يرى انعكاس هذا الشكل على مرآة، ورابع يرى تمثال هذه الأشياء وقد نحتها مثال. وهكذا فقس⁽¹¹⁾.

طريق العقل واحد:

ومهما تكن عدد هذه الطبقات، وأي كان حاكم أو مدبّر المدينة الفاضلة، في كل زمان وفي كل الأزمنة. فإن

حكمهم يبقى حكم رجل واحد، لأنهم جميعاً ينظرون إلى غاية واحدة هي السعادة القصوى، ويتوجهون نحو شأن واحد هو المعاد الحقيقي⁽²¹⁾. ولهذا فالرقابة التي يمارسها اللاحق على أحكام سابقة وفقاً للمصلحة الفضلى، لا تتعارض معها بل تمثل إكمالاً لها. وعلى هذا لو كان الحاكم اللاحق قد انوجد في الوقت السابق، لكان سلك نفس السلوك وكان اتخذ نفس الإجراء. ولو أن السابق كان لاحقاً لكان مارس نفس أسلوب خلفه، لأن طريق العقل واحد. ومصدق ذلك نجد في كلمات منسوبة إلى عيسى: « ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأأكملها ».

والتصرف المغاير والاختلاف والعناد، هي كلها من الجماعة التي هي صورة مشوهة للحقيقة وليست تنبؤاً ولا تعريفاً بها.

4 - أركان المدينة الفاضلة⁽²²⁾ :

تقسم أركان المدينة الفاضلة إلى خمسة أصناف أو جماعات:

- 1 - الجماعة الموسومة بالتنظيم، وهم أهل الفضائل والحكماء الكاملون المتميزون عن أتباعهم بقوة العقل والآراء الصائبة في الأمور العظام. وصنعتهم معرفة حقائق الموجودات ويسمون بالأفاضل⁽²³⁾.
- 2 - جماعة تدعو العوام إلى الهداية وتضم ذوي مراتب الكمال الثانوية الذين يدعون عوام الناس إلى الإيمان بما عند (أهل الفضل) بحيث يستطيع من يقبل المواعظ والنصائح أن يسمو فوق مرتبته. أما صناعاتهم فتتضمن علوم الفلاسفة، (علوم الكلام) والفقه والخطابة والبلاغة والشعر والكتابة وهم: ذوو الألسنة⁽²⁴⁾.
- 3 - الجماعة التي ترعى قانون العدالة بين السكان، والإلتزام بقواعد الأخذ والعطاء، وحضّ الناس على ممارسة المساواة والتكافؤ، وصناعة هؤلاء تشتمل على علم المحاسبة والحساب والهندسة والطب والنجوم، ويسمون: « المقدرين »، أو « المبجلين ».
- 4 - الجماعة المتميزة بحماية الحرم وحماية بيضة أهل المدينة وإبعاد أرباب المدن غير الفاضلة عن المدن الفاضلة. وهم أهل الحرب والمدافعة الذين يلتزمون بأصول الشجاعة وهم الحمية، ويسمون بالمجاهدين.
- 5 - الجماعة التي تتولى تموين هذه الطبقات، سواء عن طريق المعاملات والصناعات أو عن طريق جباية الخراج وغيره ويسمون أهل التموين⁽²⁵⁾.

السلطة العليا أو الرياسة العظمى: (26)

في مثل حال هذه المدينة هناك أربعة أوضاع:

أولاً - ملك مطلق يتولى الحكم ويُشترط أن تتوفر فيه أربعة شروط:

- الحكمة التي هي غاية الغايات.
- العقل الكامل الذي يقود إلى الغايات.
- قوة الإقناع والتخيل وهما لازمان لجر الآخرين إلى الكمال.
- قوة في قيادة الحرب وهي لازمة للدفاع والحماية.
- وتسمى رياسته بالرياسة الحكيمة.

ثانياً - وعندما لا يكون هناك ملك ظاهر، ولا تتوفر هذه المميزات في شخص واحد، بل تجتمع في أربعة أفراد. فعلى هؤلاء أن يتعاونوا، وأن يقوموا كنفس واحدة بحكم المدينة. وهذه تسمى رياسة الأفاضل. (حكم القلة أو الأوليغارشية بحسب التعبير المصطلح عليه في الغرب) (27).

ثالثاً - في حال عدم وجود هذين النوعين، يتولى الرئاسة الرئيس الحاضر شرط أن يكون عارفاً بسنن الرؤساء السابقين، الذين كانوا يتحلون بالأوصاف السابقة الذكر. وشرط أن تمكنه قوة تمييزه وإدراكه من تطبيق السنّة بكفاءة، ومن استنباط ما هو غير صريح في سنّة الحكام السابقين من ما هو صريح، وشرط أن تجتمع له جودة الخطابة وقوة الاقتناع والقدرة على الجهاد. ورئاسته تسمى رئاسة السنّة (28).

رابعاً - وإن انعدم وجود هذه الخصائص في شخص واحد، بل انوجدت في أشخاص متعددين فهم يتولون قيادة المدينة بالتعاون فيما بينهم، وهذه الرئاسة تسمى رئاسة أهل السنّة (29).

وأما بقية الرئاسات الخاضعة للرئاسة العظمى، فيجب أن تهتم بالصناعة وبالأفعال. ورئيس الرؤساء في السلطة هو الرأس الأعظم. وهناك ثلاثة أسباب لاستحقاق الرئاسة العظمى:

1 - أن يكون فعل أحد الرؤساء غاية فعل الآخر وذلك عندما يكون الأول أعلى من الثاني. مثاله: أن صاحب الفروسية أعلى مرتبة من المدرب على الركوب أو من صانع السروج واللجم.

2 - عندما يكون هناك عاملان يعملان لنفس الغاية، ولكن أحدهما أقوى على تخيل الغاية من الآخر، وعنده

التعقل على استنباط الأحكام، في حين أن الآخر محروم من هذه القدرة، ولكنه إن قدر له أن يتعلم قوانين الصنعة من الشخص الأول فإنه يستطيع القيام بالعمل بفعالية، كما هو الحال بالمهندس والبناء. فالمهندس أعلى من الأول. في هذا النمط من التفريق هناك عدة درجات، إذ هناك فرق كبير بين مؤسس الصنعة، والماهر فيها. وأدنى درجة في هذه المراتب هي مرتبة عدم القدرة على الإختراع، الذي يتقيد بتعليمات معلم الصنعة فيما بين يديه من عمل، تقيداً يؤدي إلى تنفيذ المهمة. مثل هذا الشخص يسمى الخادم المطلق⁽³⁰⁾ الذي لا سلطة له.

3 - عندما يكون العملاقان موجهين لغاية واحدة هي بذاتها عمل ثالثي، وإن كان أحدهما أنبل من الآخر وأكثر ايصالاً للغاية، تلك هي حال صانع اللجام والدباغ بالنسبة إلى الفارس.

مقتضيات العدالة: اتقان الصنعة والتفرغ لواحدة منها:

العدالة تقضي بأن يبقى كل في مقامه فلا يتجاوزته. ولا يجوز أن يعمل رجل واحد في عدة صنائع لأسباب ثلاثة هي:

- 1 - لأن الطبائع لها خصوصياتها، وليست كل طبيعة معدة لأي عمل.
- 2 - لأن صاحب الصنعة يصبح، بعد فترة، متمكناً من أصول مهنته، بأحكام الصناعة، ودقة النظر. ولكن المهمة والنظر إن توزعا بين عدة صناعات ضاعت كلها وبعدت عن الكمال.
- 3 - لأن بعض الصناعات لها وقت مخصص، لعملياتها، ولا يمكن تنفيذها بعد فوات هذا الوقت. وعلى هذا، إن حدث أن توزعت صناعتان نفس الوقت، فإن على صاحب الصنعة أن يؤخر إحداها بعد الأخرى. وإذا كان هناك شخص يعرف صناعتين أو ثلاثاً، فعليه أن يعمل في أنبلها وأهمها⁽³¹⁾. فإن انصرف كل فرد إلى ما يتقن أمكن التعاون، وتحسنت النتائج وانتفى الضرر.

في المدينة الفاضلة يوجد أشخاص مفتقرون إلى الفضيلة، بحيث يشبه وجودهم وجود الآلات. ومع ذلك فهم موضوع اهتمام وتنظيم الأفاضل. وهم قد يصلون إلى الكمال، إن كان استعدادهم ممكناً. وإلا عوملوا كالبهائم.

5 - أنواع المدن غير الفاضلة:

أما المدن غير الفاضلة، فهي إما جاهلة أو فاسقة أو ضالة⁽³²⁾.

6 - رئيس المدينة أو كيفية الحصول على النبالة:

وفي حالة الكرامة على أساس المساواة هناك شبه بمعاملات أهل السوق.

ف رئيس المدينة هو المتفرد من بين مواطنيه باستحقاق التكريم: إما لحسبه الرفيع⁽⁴²⁾ أو لغناه بالذات، وإن نظر إلى النفع، فأفضل الرؤساء هو من استطاع أن يحمل إلى قومه اليسار والثروة، سواء من ماله هو أو من حسن التدبير، ومن يستطيع بكفاءة أن يحفظ لهم يسارهم وثروتهم - شرط أن يكون هدفه الكرامة وليس الاثراء. وقد يحدث أن يكون أفضل الرؤساء من يمكن قومه من نيل اللذات شرط أن يكون هو طالب كرامة لا طالب لذة. وطالب الكرامة هو الذي يرغب بأن يجري تعظيمه واجلاله وتكريمه بالقول والفعل، وأن يحفظ الناس ذكره في الحياة وفي الممات⁽⁴³⁾.

مثل هذا الرئيس، يجب أن يكون، في أغلب الأحيان وافر الغنى، إذ بدون الغنى لا يمكن استجلاب سكان المدينة. وكلما كانت أفعاله عظيمة، كلما زادت احتياجاته ومصاريفه من جراء كرمه وإحسانه، مع خلو أعماله من التماس الكرامة⁽⁴⁴⁾. والمال الذي ينفق يحصل عليه إما عن طريق الجباية، أو عن طريق الغلبة على أمة معاندة له بالرأي والفعل، أو من أشخاص يحمل لهم ضغينة فيصادر أموالهم ويضيفها إلى خزائنه. وهو يبذل هذا المال كسباً للاسم والشهرة. وعن طريق الاسم والشهرة يصبح سيداً مالك الرقاب⁽⁴⁵⁾ وبعده يحسب أولاده (ورثته) أهل حَسَبٍ وَنَسَبٍ. وقد يحدث أن يحتفظ لنفسه بما له وأملاكه، بحيث تعتبر هذه الأملاك سبباً لتعظيمه واحترامه. وقد يسبغ التعظيم على أقرانه، من بين جيرانه من الحكام، وعن طريق التبادل أو المعاوضة والمراعاة، فتتحقق لهم أنواع الكرامة⁽⁴⁶⁾.

مثل هذا الشخص يحيط نفسه بمظاهر الجلالة والفخامة ليحدث هبة لنفسه في قلوب من حوله. وفيما بعد عندما تثبت سلطته ويعتاد الناس رئاسته، فإنه يقلد المراتب والمناصب لأتباعه بحسب استحقاقهم عنده. وهذا ما يعطي الهبة للملكه ودولته.

وأقرب الناس إليه هم مساعدوه في الاستزادة من الفخامة. وطالبو الكرامة⁽⁴⁷⁾ يسعون الى التقرب منه بهذه الوسيلة فيزدادون عنده تكريماً.

مدينة الجهالة:

ويُعتبر سكان هذه المدينة، المدن الأخرى المختلفة - مدن جهالة، في حين يعتبرون مدينتهم المدينة الفاضلة. وبالتأكيد تنظر مدينة الجهالة إلى نفسها على أنها هي المدينة الفاضلة، خاصة بعد تحديد مراتب السلطة وفقاً لرأي

أهلها، وتمشياً مع قلة أو كثرة النفع. وعندما يبلغ التكريم والتعظيم، في مثل هذه المدن الجاهلة حد الإفراط تصبح مدينة الجبابرة وتسمى عندئذ مدينة التغلب⁽⁴⁸⁾.

مدينة التغلب:

إنها اجتماع يتعاون بقصد التغلب على الآخرين. وأكثر من ذلك، إنهم يتعاونون بهذا الشكل، عندما تكون الأمة بكاملها تشارك في حب السيطرة، وإن اختلفوا في قلة وكثرة حبهم للسيطرة، وإن اختلف قصدهم من السيطرة: فمنهم من يريد السيطرة حباً بسفك الدماء، ومنهم من يريد لها طمعاً في الاستيلاء على الأموال، ومنهم من يريد لها للاستيلاء على الأنفس طمعاً في استعبادها.

وهكذا تكون الفروقات بين سكان هذه المدينة تبعاً لقلّة وكثرة حبهم لهذه الأشياء، ولكن إجماعهم يكون بقصد السيطرة، طمعاً بسفك الدم، أو تملك المال والنساء أو الأنفس، أخذاً من الآخرين. ولذتهم تكمن في الاستيلاء وفرض الذل، ولهذا السبب، قد يحدث أحياناً، أن تتاح لهم ملكية الشيء المرغوب فيه بدون غلبة أو استيلاء أو إذلال لأحد، فيرفضونها ويعرضون عنها. وبعضهم يريد السيطرة والاستيلاء عن طريق التهريب والغش والخداع، في حين يفضل آخرون المكافحة والعداء. وآخرون يستعملون الأسلوبين معاً. وقد يحدث غالباً، أن يمر هؤلاء الأشخاص الظالمون بشخص نائم، فيوقفونه ليقتلوه وهو قادر على الدفاع عن نفسه، لأن ذلك يبدو لنفوسهم أكثر متعة. إن طباع هؤلاء الأشخاص مجبولة على حب السيطرة والاستيلاء. ولكنهم يفضون عن مدينتهم لأنهم يحتاجون للتعاون فيما بينهم طمعاً بالبقاء والغلبة⁽⁴⁹⁾.

أما رئيسهم فيوصف بحسن التدبير، إذ يحسن توجيههم للحرب والمكر والغدر⁽⁵⁰⁾، ويحسن حاجتهم من أعدائهم. وتتميز هذه الجماعة بسيرة العداء للجنس البشري، في حين أن عاداتهم وممارساتهم تؤدي بهم إلى السيطرة والغلبة. وتنافسهم وتفاخرهم فيما بينهم يعود إلى فرط الغلبة فيهم وإلى تعظيم الأقران⁽⁵¹⁾ وهم يعترفون بأن الإنسان الأكثر جدارة بالتعظيم هو الذي حصل على أكبر عدد من الانتصارات.

أما آلات الغلبة فنفسانية (كما هو الحال بالتدبير) أو جسمانية (كما هو الحال بالقوة البدنية) أو هي السلاح. ومن أسلحتهم الأخلاقية (الأدبية) العنف، وقسوة القلب، وسرعة الغضب والتكبر، والخذل، والحرص على الأكل والشرب والجماع. وهذه الصفات الأخيرة تقترن عندهم بالقهر والقتل والإذلال⁽⁵²⁾.

والمدن الجاهلة المعتبرة بسيطة هي ستة أنواع:

- ذات الاجتماع الضروري.

- ذات الاجتماع النذل.

- ذات الإجتماع الخسيس .
- ذات الإجتماع الكريم .
- ذات الإجتماع التغليبي .
- ذات الاجتماع الحر⁽³³⁾ .

المدينة الضرورية: هي اجتماع مجتمع تعاوني للحصول على ما هو ضروري للمحافظة على أجسام الناس أوقاتاً وملبوسات ووجوه مكاسب⁽³⁴⁾. وأسباب الكسب عديدة، بعضها محمود وبعضها مذموم: فلاحه، تعشيب، صيد، وسرقة بالمكر أو بالعنف. وقد يحدث أن تستجمع المدينة كل أسباب المكاسب الضرورية، أو قد تشتهر المدينة بصناعة واحدة: كالزراعة وغيرها⁽³⁵⁾.

وأفضل سكان هذه المدن، يحتل مركز الرأس فيها. ويفترض فيه أن يكون شخصاً حسن التدبير والحيلة للحصول على الضروريات. متغلباً على كل الجماعة بالاحتيايل أو بتشغيلهم للحصول على هذه الضروريات، إلا أنه شخص يتكل عليهم في كل شؤون أوقاتهم.

أما المدينة النذلة⁽³⁶⁾: فهي مجتمع يتعاون لجمع الثروة واليسار وإلستكتار من الضروريات والذخاير والأرزاق، والذهب والفضة وما شابه. وغاية من فيها هو جمع الزائد عن قدر الحاجة والإستكتار وحب الثروة واليسار. وهم يجمعون على أن الإنفاق لا يكون إلا على ما هو ضروري لحفظ الأبدان فقط، وتحصيلهم تنوع أساليبه، أو هم يقتصرون على أسلوب واحد موروث اختصت به مدينتهم. ورئيسهم هو الشخص الأقدر على التدبير لنيل الأموال وحفظها، وهو الأكمل والأجدر على توجيههم الوجهة الصحيحة في نظرهم. وأساليب كسب المعاش في هذه المجموعة قد تكون اجارة أو تجارة (وهي أعمال حرة) أو هي فلاحه وصيد ولصوصية (أعمال غير حرة)⁽³⁷⁾.

أما مدينة الخسة: فهي مجتمع يتعاون من أجل الملذات الجسدية كالمأكول والمشارب والنساء (المنكوحات) وأصناف الهزل. وغرضهم هو طلب اللذة لا المحافظة على الجسد⁽³⁸⁾. وهذه المدينة، بين مدن الجهل تعد سعيدة ومغبوطة، لأن غاية السكان تتحقق بالحصول على الضروري والبحث عن اليسار، وأكثرهم سعادة وأجدرهم بالغلبة، فيما بينهم، هو الشخص الأكثر قدرة على الحصول على وسائل اللذة. ورئيسهم هو الشخص الأقدر على مساعدتهم في الحصول على رغباتهم⁽³⁹⁾.

مدينة الكرامة: هي اجتماع مجتمع يتعاون لكسب الكرامة بالكلمة أو بالفعل. ومثل هذه الكرامات تكون فيما بين أفراد المجتمع أو بين أفراد المجتمعات الأخرى. وهي تتم بالتساوي أو بالتفاضل. والكرامة عن طريق

المساواة تعني تبادل التكريم (على مبدأ كرمي أكرمك). أما التكريم التفاضلي فيعني الرد المضاعف على المكرم الأول: (أقول لك: أهلاً. فترد: أهلين..). وذلك تمثيلاً مع نوع من العرف الجاري بينهم. وهذا الإكرام له أربعة أسباب: الوفرة (الفيض)، وتوفر وسائل العمل (الحركة)، والقدرة على نيل ما هو فوق الضروري، بدون ما جهد، كالشخص المخدوم من قبل جماعة يأتمرون بأمره، وأخيراً تبادل التكريم والمنافع. وهناك أيضاً وسيلتان أخريان للحصول على التكريم في نظر سكان المدن الجاهلة هما: الغلبة والحسب⁽⁴⁰⁾.

الغلبة تحصل عندما يسيطر شخص على أقرانه، في مجال أو في عدة مجالات، سواء بذاته أم بواسطة الأعوان، وعبر فرط الكفاءة أو العدد. والشهرة في هذا المعنى تعتبر سبباً للغلبة في مثل هذه المجتمعات، وربما للكراهة والحسد، خصوصاً إذا كان المغبوط محبوباً غير مكروه.

والحسب يعني أن أجداد صاحب الحسب كانوا قوماً ذوي غلبة بالمال أو الجاه أو الرجال أو الفكر، أو الإستهانة والمجادلة حتى الموت⁽⁴¹⁾.

وفيما يتعلق بسكان هذه المدينة، قد يحدث أن تكون الجماعة كلها بهذه السيرة. إنما قد يحدث أن يجتمع الحاكمون مع المحكومين في نفس المدينة على نفس المستوى، أو وفقاً لمراتب تتدرج. (والاختلاف عندهم قد يكمن في قلة وكثرة فرص الاستيلاء، أو بسبب القرب أو البعد من الرئيس، أو بسبب ضعف أو قوة الرأي). وقد يحدث أن يكون المسيطر في هذه المدينة شخص واحد، والباقيون آلات للسيطرة: فقد لا يكون لهم رأي بما يحدث، إنما لما كان الحاكم هو الذي يقدم لهم المؤن لحياتهم اليومية، فإنهم يساعدونه. ومثل هذا الشعب هو بمنزلة الكلاب⁽⁴²⁾ والجوارح من الصياد. أما بقية سكان المدينة، فهم بمنزلة العبيد بالنسبة إليه، يخدمونه ويتاجرون له ويزرعون باسمه. وطالما هو باق على قيد الحياة، فإنهم لا يملكون أنفسهم. ذلك أن لذة رئيسهم تقوم على مذلة الآخرين.

أنواع مدن التغلب: تقسم مدن التغلب إلى ثلاثة أنواع بحسب طبائع سكانها:

- كل السكان يشتهون التغلب.
- بعض السكان يشتهون التغلب.
- واحد فقط يشتهي التغلب وهو الرئيس.

فالذين يرغبون في التغلب للحصول على الضروريات أو على الثروة أو على اللذات أو على النبالة، يعدون من جملة سكان المدينة التي سبقت الإشارة إليها (وبالطبع يعد بعض الحكماء⁽⁴³⁾ هذه المدينة من جملة مدن التغلب). وهذه الطبقة من السكان تقسم إلى ثلاثة أنواع متشابهة. وقد يحدث أيضاً أن تكون غاية سكان هذه المدينة

السيطرة بالإضافة الى شهوة من الشهوات . من هذه الرؤية، يقسم المسيطرون أو أهل الغلبة إلى ثلاثة أقسام :

1 - أصحاب اللذة في الاستيلاء والغلبة وحدها . هنا تتم الغلبة من أجل أشياء وضیعة ، حتى إذا انتصروا فإنهم غالباً ما يتركون هذه الأشياء ، كما كان الحال مع بعض العرب أيام الجاهلية .

2 - الذين يستعملون الغلبة كسبيل للتلذذ ، ولكنهم يمتنعون عن استعمالها ان استطاعوا الحصول على اللذة بدون الغلبة أو العنف .

3 - الذين يرغبون بالعنف مقروناً بالمنفعة ، حتى اذا تيسرت المنفعة بوسيلة أخرى غير العنف ، فإنهم يتخلون عن المنفعة . هؤلاء يدعون أنفسهم من بعيدى الهمة وأصحاب الرجولة⁽⁵⁵⁾ .

المجموعة الأولى ، من جهة أخرى ، تقصر نفسها على المقدار الضروري ، وهناك أشخاص من العامة يعظمونهم من أجل هذا . وهناك أشخاص يحبون النبالة يقومون بهذه الأفعال بغية الحصول على النبالة : من هذه النظرة يعتبرون مستبدین ، لأن المستبد هو الذي يجب النبالة مقرونة بالتغلب والسيطرة .

أما خواص (الخاصة) مدينة اللذة ومدينة اليسار ، فالجهال يحسبونهم محظوظين ويعتبرونهم أكثر فضلاً من سكان المدن الأخرى : وبنفس الطريقة تماماً يعتبرون الخاصة في مدينة الغلبة ، أشخاصاً واسعى المطامح ، وهم يجلبونهم من أجل ذلك . وقد يحدث ، أن يتباهى سكان هذه المدن الثلاث مظهرين الاحتقار لغيرهم فيثرون ويتباهون خيلاء ومحبة للتكريم . وهم يطلقون على أنفسهم الألقاب ، ويعتبرون أنفسهم لطفاء وأنيقين ، وينظرون إلى الآخرين كأغبياء وكمقصرين .

وبالطبع ، إنهم يدون منطقين مع أنفسهم ، حيناً يعتبرون البشر الآخرين من دونهم مجانين أغبياء . وعندما تستولي على عقولهم الكبرياء والتبجح وحب السيطرة فإنهم يدخلون في جماعة المستبدین⁽⁵⁶⁾ (زمرة الجبارين) .

وقد يحدث لمحبة النبالة والتكريم أن يبحث عن النبالة طمعاً وحباً باليسار . ويظهر الشرف للآخرين في حين يبغى اليسار عن طريقه أو عن طريق غيره ، وقد يكون طامعاً في التسلط على سكان المدينة ، طمعاً في التملك .

وقد يكون أيضاً طامعاً في اليسار من أجل اللذة والتسلية . ولكن كلما كبرت القيمة والوقار كلما هان التملك ، ومع التملك تأتي الملذات . ولهذا يتحول طالب الملذات الى طالب وقار . وعندما تجتمع لهذا الشخص السلطة والرفعة ، تصلح أحواله المادية عن طريقها ، فيحصل على الطعام والشراب والنساء بشكل يتفوق بها على غيره . ومختصر القول ، توجد عدة طرق لدمج هذه المطالب ببعضها البعض . ولكن المرء متى عرف البسيطة هانت عليه معرفة المركبات⁽⁵⁷⁾ .

المدينة الحرة : وتعرف أيضاً بمدينة الجماعة . إنها اجتماع ، يكون فيه للفرد مطلق الحرية مع نفسه يفعل ما

يشاء. والسكان سواسية، لا يتكبر أحد على أحد، وهم جميعاً أحرار، ليس لأحدهم تقدم على الآخرين إلا بمزيد من الحرية. في هذه المدينة التنوع كبير، حتى الشهوات والهوى متفرقة. وهم يشكلون طوائف⁽⁵⁸⁾ بعضها متشابه، وبعضها مختلف. وكل ما ذكرناه عن المدن الفاضلة أو السافلة، موجود في هذه المدينة الحرة، ولكل رئيس. ولكن جمهور السكان يسيطر على الرؤساء، لأن الرئيس مجبر على أن يفعل ما يطلبه منه الجمهور. والتفكير يدل على عدم وجود رئيس فيهم ولا تابع. والأكثر اعتباراً بينهم هو الأكثر مكافحة من أجل حرية الجماعة، التارك لها شأنها، الحامي لها من العدو، والمكتفي منها بالقدر الضروري من المال. والشخص الجدير بالتكريم في هذه المدينة، وبالأقرار له بالتقدم والطاعة، هو الشخص الذي يتمتع بهذه المزايا. وأهل المدينة الحرة يعتبرون الرئيس مساوياً لأي فرد من أفرادها⁽⁵⁹⁾.

وقد يحدث في هذه المدن أن يكون هناك رؤساء لا نفع منهم، ولكنهم يحرصون بالتكريم والتملك، نظراً لعظمة فضيلتهم، أو لما لهم من سلطان معنوي موروث. ومحافظة على هذا الحق يلتزم أهل المدينة بتكريم أمثال هؤلاء الرؤساء.

كيف تتكون المدينة الفاضلة الشريرة (المدينة التي تضم الخير والشر معاً):

وجلة أغراض الجاهلة، كما ذكرناها، قد تتحقق في المدينة بشكل تام وإلى أقصى حد. وتكون هذه المدينة أعجب مدينة بين المدن الجاهلة، لأنها تكون كالثوب الموشى بالألوان والبراقع. وكل فرد يتمنى السكن فيها، لأنها مكان يحقق كل إنسان فيها هواه وغرضه، ولهذا تسعى الشعوب والطوائف نحو مثل هذه المدينة بحيث تنتفخ وتتضخم في أقصر وقت، ويزداد التوالد والتناسل، وتختلف الطبائع والتربية فيها. وهكذا تظهر في هذه المدينة عدة مدن، غير متميزة بعضها عن بعض، لأن مكوناتها واحدة. في هذه المدينة لا يوجد فرق بين الأجنبي والمقيم. وبمضي الوقت، يظهر أناس فاضلون وحكماء وشعراء وأدباء، وكل واحد من هؤلاء يجعل مع رفاقه مجتمع المدينة المجتمع الفاضل وتصبح المدينة فاضلة وكذلك أهل الشر والتأخر.

وليس من مدينة بين المدن الجاهلة أكبر من هذه المدينة الفاضلة. فالخير والشر فيها في الطرفين. وكلما كبرت المدينة وازدهرت كلما ازداد خيرها وشرها⁽⁶⁰⁾.

7 - السلطة في مدن الجهل:

تحدد السلطة في هذه المدن الجاهلة بحسب نوع كل منها. ومدن الجهل تقسم عادة تبعاً للأشياء التالية: الضرورة. اليسار اللذة، الكرامة الغلبة، الحرية⁽⁶¹⁾.

فإذا استجمع رئيس ما هذه المنافع، فقد يحدث له أن يشتري واحداً من أنواع السلطة هذه عن طريق البذل

(الرشوة)⁽⁶²⁾. وهذا هو حال السلطة، في مدينة حرة، بصورة خاصة، حيث لا أفضلية لأحد على آخر، فيعطي الرئيس السلطة كتكريم له أو لقاء بذل بذله. الرجل الفاضل لا يستطيع ممارسة السلطة في مدينة حرة. فإن فعل خلع وقتل، أو وجد سلطته منزوعة منه أو متنازعا فيها. وكذلك في المدن الجاهلة الأخرى: الرجل الفاضل لا سلطة له. ومن الأسهل، والأقرب إلى التحقق خلق مدينة فاضلة، وإيجاد سلطة للأكثر فضلاً خارج مدن الضرورة ومدن الجماعة⁽⁶³⁾ من غيرها من المدن.

التسلط، أيضاً قد يقترن بالضرورة واليسار واللذة والنبالة، وفي مدن الجهل أي المدن المركبة، تتميز النفوس بالقسوة والغلظة والجفاء والاستهانة. وتتميز الأبدان بشدة البطش... والمهارة في حل السلاح.

وسكان مدينة اللذة يتميزون بالشهوة والطمع وبلين الطبع وضعف الرأي. وقد يحدث بسبب غلبة هذا المسلك أن تفسد فيهم القوة الغضبية بحيث تموت وتلاشى. لا شك انه في هذه المدينة، يصبح العاقل خادماً للغضب والغضب خادماً للشهواني، (بجلاف الترتيب الطبيعي حيث يسيطر العقل على الغضب والشهوة) والمثل على ذلك نجده عند العرب والترك، أي ان الشهوة وعشق النساء تفشى فيهم، فهارست النساء عليهم سلطتها. فكم من دم أريق وكم من عنف وكم من عداء.

تلك هي إذن مختلف أنواع المدن الجاهلة.

المدينة الفاسقة: أما المدينة الفاسقة. فإن اعتقاد السكان فيها متفق مع اعتقاد سكان المدينة الفاضلة ولكن أفعالهم تختلف. إنهم يعترفون بالخير، ولكنهم لا يتمكنون به، بحكم ميلهم إلى الخيال وإلى الأعمال الجاهلة وتوصف المدن الفاسقة كما توصف المدن الجاهلة، فلا نرى لزوماً لمزيد من الشرح.

المدن الضالة⁽⁶⁴⁾: في هذه المدن يرى السكان السعادة كما يراها سكان المدن الحقة، أما فيما يتعلق بالمبدأ والمعاد فالاعتقاد يختلف... هنا أيضاً الأفعال والآراء مشتتة ومتفرقة بشكل يحول بين الفرد والوصول إلى الخير المطلق وإلى السعادة الأبدية. وعدد المدن الضالة لا يحصى. ولكن كل متعمق بمعرفة المدن الجاهلة يسهل عليه التعرف على المدن الضالة⁽⁶⁵⁾.

8 - نوابت المدن الفاضلة⁽⁶⁶⁾:

ان النوابت (الفروع) التي تنبت على هامش المدن الفاضلة، (كفروع القمح على جانب السنبلة) هي خمسة أنواع:

1 - المدينة المرائية: وهي مجتمع تنطلق منه أعمال الرجال الأفاضل، إنما لغاية غير غاية السعادة، كاللذة أو النبالة

- 2 - المدينة المنحرفة: وفيها يميل السكان نحو غايات المدن الجاهلة. ولكنها تكون محكومة بقوانين وضعها سكان المدن الفاضلة. ولذا يعتمد سكان المدينة المنحرفة الى تأويل قوانين المدينة الفاضلة بما يرضي الالهواء والرغبات، من أجل التوصل إلى الغاية المطلوبة.
- 3 - المدينة الباغية: وهي المدينة التي لم يرض سكانها عن حكم الفاضل فيهم فمالت الى الحكم التسلطي. وتمشيًا مع ذلك فهم يكرهون الحكم الفاضل على التخلي للعوام.
- 4 - المدينة المارقة: وفيها لم تقصد الجماعة تحريف القوانين، ولكنها لجهل فيها لم تع مقاصد الحاكم الفاضل، ولهذا انحرفت عن الحقيقة وان كانت تبغيها ولكنها ضلت عنها. وإنما هناك أمل بهديتها سواء السبيل.
- 5 - المدينة المغالطة: في هذه المدينة يوجد نقص في الإدراك والتمييز. ولهذا لا تعي الجماعة الحقائق، ولا تقر بالجهل. فيكتفي أهلها بالكلمات التي تشبه الحقيقة وهم دونها. وهذه الكلمات تبدو أمام العامة كالبراهين في حين أنها مضللة.
- وعدد النوبات قد يتجاوز ما ذكر ولكن محاولة ذكرها كلها يوقع في التطويل.
- هذا ما أردنا قوله حول أقسام الاجتماعات المدنية⁽⁶⁷⁾.

الحواشي

- (★) آراء أهل المدينة الفاضلة، فصل 26. تهذيب، المقالة 5. ومن تلخيص التواميس للفارابي، ص 35.
- (1) Encyclopaedia universalis vol. 16 p. 808 - 842.
- د. البير نصري نادر، المدينة الكلاسيكية: مدن اليونان والرومان، مجلة الفكر العربي، عدد 29 تاريخ تشرين أول تشرين ثاني 1982، ص 44.
- (2) علي مقلد: الحكمة العملية عند نصير الدين الطوسي بيروت، 1981.
- (3) ابن سينا، رسالة في أقسام العلوم العقلية (مطبوعة في تسع رسائل، 1981) ص 105.
- (4) بالفارسية وقد ترجمه الى الانكليزية C. Wickens سنة 1955. والكتاب موجود في مكتبة يافث بالجامعة الأميركية في بيروت في كتابين منفصلين كتاب بالفارسية وكتاب بالانكليزية، وسوف نرمز الى الترجمة الانكليزية بكلمة ويكنز أما النسخة الفارسية فرمز اليها بحرفي ن. ف.
- (1) ويكنز، ص 11، ح 2052. ن ف: 237 فقرة أخيرة.
- (2) هنا نجد فرقاً بين ما يقول ويكنز والنسخة الفارسية: «متفعلون بالحياة المدنية» غير موجودة في الأصل الفارسي.
- (3) ويكنز، ص: 211، ح 2056. ن ف: ص: 238 ف 1.
- (4) من نبت، ينبت نوبات.

- (5) ن ف: ص، 238، ف 5. ويكنز ص: 212 ف 2.
- (6) ن ف، ص: 235 ف 1. قارن ويكنز ص: 212 ف 3.
- (7) ويكنز، ص: 213 ح 2071، 369. ن ف: ص: 240 ف 1.
- (8) ويكنز، ص: 213 ح 2072، ن ف: ص: 240 ف 1.
- (9) ويكنز، ص: 213 ح 2074. ن ف: ص: 240 ف 2. ويلاحظ أن طبقة أهل التسليم، هي جماعة الإسماعيلية. الأمر الذي يحمل على الظن أن هذا الفصل قد جرى فيه تعديل وتبديل متأخرين. ذلك أن الطوسي كان من أهل التسليم حينما كان في قلاع الإسماعيلية بدليل قوله: ... ولأن العبد الأحقر عندما وصل إلى هذه الدرجة علم أن خلاصة الأمر ومنتهى الطلب هو التسليم الذي هو لازم مذهب أهل التعليم. (راجع: مقدمة أخلاق محتشمي، منشورات دانش بزوة، تهران 1339 (آقمريه شمسية) بالفارسية. هنا يوجد تغيير في موقف الطوسي من حيث إيمانه بالمعاد الجسائي التحرير، 431.
- (10) ويكنز، ص: 213 ح 2076. ن ف: 240 ف 4.
- (11) ويكنز، ص: 213 ح 736. ن ف: 240، ف 5.
- (12) ويكنز، ص: 214، ح 1956. ن ف 241، ف 1.
- (13) القرآن: 3 - 5.
- (14) ويكنز، ص: 214 ح 2080. ن ف: 241، ف 1.
- (15) هنا إيماء يوناني إسماعيلي: حيث اقتضرت مملكة الإسماعيليين في إيران، كمدن أغريقيا (اثينا، سبارطة)، على منطقة محدودة وشبه محصورة..
- (16) قارن: ن ف: ص 241، ف 2. هذه التسامح في المعتقد ليس غريباً على الطوسي، خصوصاً بعد أن تخلى الإسماعيليون المجددون عن مذهبهم، وعادوا للاعتراف بالمذهب السني.
- (17) ويكنز، ص: 214، ف 2. ن ف: ص: 241.
- (18) ويكنز، ص: 214، ف 3، ن ف: ص: 242، ف 1.
- (19) هذا الحديث يجب أن يكون من الإضافات اللاحقة. في باب كلمة «يد» في المعجم المفهرس ص: 248 عامود 2 ورد، حديثان: ... المسلمون يد على من سواهم (ابن ماجه، ديات 31، أبا داود، جهاد، 147، أحمد بن حنبل، 1، 122). ... يد المسلمين على من سواهم. ولم أعر على الحديث بنصه.
- (20) ويكنز، ص: 215، ف 1 - ن ف: ص: 242، ف 5.
- (21) المعاد الحقيقي والمعاد الجسائي، طبعة الأعلمي 1979/1399، ص 431، قارن أيضاً، مجموعة ورام، عني بنشره الشيخ محمد الأخوندي (بدون تاريخ)، تهران ج 1، ص 291.
- (21) ويكنز، ص: 215 ف 4 - ن ف - ص: 243، ف 1 - قارن الفارابي، المدن الفاضلة والمدن الفاسدة، أورده ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 176.
- (23) ويكنز، ح 2106 ن ف: ص: 243، ف 1.
- (24) ويكنز، ح: 2108، ن ف: ص: 243، ف 3.
- (25) قارن، أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثامن رقم 543. بريتانكا - مجموعة الكتب الكبرى (بالانكليزية) رقم 7. قارن:
- The City-State: Plato: Laws. BKIII, 663d - 677a, pass-Aristotle: Politics. BK II, ch 9-12, 465, 6-471d.
- (26) ن ف: ص، 243. ويكنز ص: 216، ف 4، قارن: ماجد فخري - تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 157 - ح 77.
- (27) ان حكم الأقلية (الاوليفارشية) يضم: حكم الأغنياء (البلوتوقراطية) والديمقراطية، (ويضم ما يسميه الفارابي بمدينة الحسة)، كما يضم النظام الاستبدادي. قارن، أفلاطون الجمهورية - 8 - 543 - وهكذا يظهر الطوسي وكأنه يضع نظامه الخاص.
- (28) ويكنز، ص: 216 ف 6، ن ف: ص: 244، ف 3. قارن ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة: الاقرار بما هو قائم فعلاً.
- (29) ن ف: 244، ف 4، في هذه التسمية يبدو الطوسي مجدداً، إذ يبدو أنه اقتبس نظام هذه الرئاسة مما حدث في الاسلام.
- (30) ويكنز، ص: 217، ح 2126، ن ف. ص. 245، ف 5. هل هذه التسمية تعريض لمخلفاء بني العباس في أواخر عودهم، حين

- صاروا يمزلون ويولون بمشيئة خدمهم وحراسهم ونسائهم، فكان الواحد منهم « مجرد خادم ».
- (31) ن ف: 245، فقرة أخيرة. ويكنز ص: 217. فقرة أخيرة.
- (32) قارن، الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، الفصل 29 بعنوان القول في مضادات المدينة الفاضلة، ص 109 - 111.
- (33) ويكنز، ص: 218، ح 2130، ن ف: ص: 246، ف 3.
- (34) قارن الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص: 110. ان المدينة المدنية الضرورية يلمح اليها أفلاطون ولا يسميها. فخري، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص: 218. ح 77. ويلاحظ أن مسكويه أغفل تماماً التعرض لأساليب الحكم، وان الطوسي اقتبس من غيره كل ما كتبه عن سياسة المدن.
- (35) ويكنز، ص: 218، ف 3، ن ف: ص: 246.
- (36) ويكنز، ص: 218، ف 4، ن ف: ص: 247.
- (37) نفسه. قارن الفارابي... نفسه.
- (38) ويكنز، ص: 219، ف 1، ن ف: ص: 247، ف 2.
- (39) ويكنز، ص: 219، ف 2، ن ف: ص: 247، ف 3. قارن الفارابي، آراء أهل...، ص 110.
- (40) ويكنز، ص: 219، ف 2، ن ف: ص: 248، ف 2.
- (41) ن ف: ص: 248، ف 4. ويكنز، ص: 219، ف 4، قارن: أرسطو، السياسة، الكتاب الثالث، فصل 6، ص 476 ج « الحكومات المعنية بالمصلحة العامة تلتزم بمبادئ العدالة الحققة وأشكالها تكون بالتالي صالحة. أما الحكومات التي تعني فقط بمصلحة الحاكم فهي حكومات فاسدة وأشكالها أشكال فاسدة، لأنها تكون تسلطية في حين يفترض أن تكون الدولة دولة رجال أحرار ».
- (42) ويكنز، ص: 220.
- (32) ن ف: ص: 248، ف أخيرة، قارن أيضاً: أرسطو السياسة الكتاب الأول، فصل 7، ص: 449 ب، حيث يقول: (...) « هناك حكم يمارس على مواطنين أحرار بطبيعتهم، وهناك حكم يمارس على رعية هي بطبيعتها مستعبدة. وحكم المنزل هو حكم ملكي، لأن كل منزل محكوم برأس واحد: أما الحكم الدستوري فهو حكم رجال أحرار ومتساوون.
- (44) ن ف: ص: 249، ف 1. - ويكنز، ص: 220، ف 2، قارن: أرسطو الكتاب الثالث (من السياسة) الفصل 8، ص: 477 ب - ح حيث يقول: ان الفارق الحق بين الديمقراطية والاوليغارشية هو الفقر والغنى. فحيث يحكم الغنى والثروة - سواء كان الحكام قلة أو كثرة - فهناك أوليغارشية، أما حيث يحكم الفقراء فالحكم ديمقراطي. (...)».
- (45) ويكنز، ص: 220، ح 2142. ن ف: ص: 249، ف 1.
- (16) ن ب: ص: 249، ف 2. ويكنز، ص: 220، ف 2، ح 2144.
- (47) ويكنز، 221، ف 1، ن ف: ص: 249 ف أخيرة.
- (48) ويكنز، ص: 221، ف 1 - قارن أيضاً، ما ذكرناه في الحاشية (43).
- (49) ويكنز، ص: 221، ف 2. ن ف: ص: 250، ف 4.
- (50) هل هذه هي إجماعات عن المغول قبل استيلائهم على بغداد ؟!
- (51) ويكنز يقول: تعظيم حاله (الغلبة)، من حين أن النسخة العارسية: تعظيم الأقربان. قارن ويكنز، ص: 222. ن ف: ص: 251، ف 1.
- (52) ان هذه الصفات هي أشبه بصفات الحكام المغول في أول عهدهم بالهجوم على أطراف الدولة العباسية، حتى سقوط بغداد.
- (53) ويكنز، ص: 222، ف 2. ن ف: ص: 251، ف 2.
- (54) ن ف: ص: 252، ف 1.
- (55) ن ف: ص: 252، ف 4. ويكنز، ص: 223، ح 2150.
- (56) ويكنز، ص: 223، ح 2146. ن ف: ص: 253.
- (57) ويكنز، ص: 223، ح 173. ن ف: ص: 253، ف 1.
- (58) ويكنز، ص: 224، ح 2155. ن ف: ص: 253، ف 3. نقد عاليج أرسطو، بصورة غير مباشرة موضوع المدينة الحرة التي تشبه ما يمارس اليوم في النظم الديمقراطية الليبرالية الحرة، كالولايات المتحدة مثلاً ودول أوروبا الغربية. فقال: « ان أفضل مجموعة سياسية

هي المجموعة التي تتألف من مواطنين من الطبقة الوسطى الكثيرة العدد القوية أكثر من طبقتي الأغنياء والعميد. لأن قوة هذه الطبقة تمنع الغلبة. وتكون سعيدة المدينة (الدولة) التي يمتلك فيها المواطنون ثروة معتدلة. لأن حصر الغنى بفتة دون الآخرين يؤدي إما الى قيام ديمقراطية متطرفة، وإما الى قيام أوليغارشية خالصة. والتسلط ينشأ من التطرف الديمقراطي والاوليغارشي. السياسة - ك 3 - فصل 11، ص 496.

- (59) ن ف: ص: 254 - ويكنز، ص: 224، ف 1.
- (60) ويكنز، ص: 224، فقرة 5. ن ف: ص: 254، ف 5. ليست هذه الصفات هي الأكثر انطباقاً على صفات المجتمع العلماني اليوم.
- (61) ن ف: ص: 255. ف 2. ويكنز، ص: 225.
- (62) ن ف: ص: 255، ف 3. ويكنز، ص: 225، ح 2152.
- (63) ويكنز، ص: 225، ح: 2056، ن ف: ص: 256، ف 2.
- (64) ويكنز، ص: 225، ح 2056 ن ف: ص: 256، ف 2.
- (65) ويكنز، ص: 226، ف 1، ن ف: ص: 256، ف 3.
- (66) ويكنز، ص: 226، ح 2057.
- (67) ويكنز، ص: 226، ف 8. ن ف: ص: 257، ف 1.